

فتح وحماس لقاء شاشة أم وحدة خندق



03 يونيو 2020 - 08:14

د. مصطفى يوسف اللداوي

تابع غالبية الفلسطينيين في الوطن والشتات، بقلق شديد وأمل كبير، اللقاء التلفزيوني الذي جمع بين رجلي فتح وحماس القويين في الضفة الغربية، جبريل الرجوب ابن بلدة دورا في الخليل، وصالح العاروري ابن بلدة عارورة في رام الله، فبعكسا بما يمثلان من انتماء سياسي كبير وجغرافيا فلسطينية هامة، ثقلاً كبيراً وأهمية خاصة لهذا اللقاء، الذي جاء مفاجئاً لكثير من المراقبين والمعنيين بالشأن الفلسطيني، في ظل الظروف الصعبة والتحديات الخطيرة التي يعيشها الفلسطينيون وتواجهها قضيتهم، حيث باتت المخططات الإسرائيلية والمؤامرات الأمريكية تستهدف ما بقي من وطنهم، وتتطلع إلى مصادرة ما بقي من أرضهم، مستفيدين من تردي الأوضاع العامة في المنطقة، وانشغال العديد من الأنظمة العربية المعنية في نسج علاقات استراتيجية مع الكيان الصهيوني، وإعلان اعترافها به وتطبيع علاقاتها معه.

لم يكن اللقاء شكلياً ولا صورياً، ولم يكن تمثيلاً ولا استعراضياً، بل كان جاداً ومسؤولاً، ومهماً واستراتيجياً، هذا ما كان يأمله الفلسطينيون، وإن شكك الكثيرون به، وقللوا من شأنه وهونوا من أمره، معتبرين إياه لقاء المهزومين ومناظرة العاجزين، إلا أنه يشكل نقطة تحول بارزة، وانطلاقة نوعية جديدة، وخطوة عملية جادة، شرط أن تؤسس لها وتبنى عليها، وتكون ضمن رؤية شاملة واستراتيجية واضحة، لا أن تكون قفزة في الفضاء، واستعراضاً بهلوانياً للفت الأنظار، أو فرقة صوتية في الهواء، ولا أن تكون رقصاً منفرداً أو جوقاً ثنائية فقط، تجمع بين اثنين وتهمل البقية، وإنما تكون ضمن برنامج مشترك، وتصوير وطني جامع لا يقفز على الثوابت، وحوار وحدوي شامل لا يستثني أحداً من الشركاء.

ينبغي على قيادة فتح وحماس أن يدركا أنه لا يمكنهما العبث بمشاعر المواطنين، والاستهزاء بأمالهم والاستخفاف بطموحاتهم، فقد تابعوا جميعاً تفاصيل اللقاء، وأملوا فيه كثيراً، وتمنوا أن يكون نقطة البداية نحو عهد جديد ومرحلة جادة، يطوون فيه خلافاتهم، ويسوون مشاكلهم، ويوحدون برنامجهم، وينبتون ثوابتهم، ويتمسكون بحقوقهم، وجمعون شتات قواهم، فلا يتفردا في القرار، ولا يستخفا بالآخرين، ولا يهملوا فصيلاً أو حزباً، ولا يصادرا إرادة طرف أو موقف تيار، ولا يتصرفا وكأنهما وحدهما من يملك القرار ويتحكم في المصير، ولا يتقاسما المهام ويتبادلان الأدوار ويتجاهلا شركاءهما في القضية والوطن.

اللقاء الذي جمع بين رجلي فتح وحماس القويين، كانا من الضفة الغربية التي تدور عليها الدوائر، وتحاك ضدها المؤامرات، فكان في لقائهما رسالة واضحة إلى العدو الإسرائيلي الذي ارتبك لاجتماعهما، واضطرب للقائهما، واستغرب اتفاقهما، أن الفلسطينيين جميعاً صفاً واحداً في مواجهة الاحتلال ومخططاته، وأن الضفة الغربية ستقف

كلها معاً، بدأ بيد، وستهب هبة واحدة في مواجهة مؤامرات الضم وسياسات القضم، ولن تكون بعد اليوم أبداً أرضاً للعدو رخوة، يخترقها وقتما يشاء، ويقطع أطرافها ويمزق قلبها كيفما يريد، فكان لقاؤهما دعوة واضحة وصريحة لمواجهة العدو بالقوة، وصدده بالسلاح، إذ بغيرهما لن يرتدع ولن يتراجع.

المفردات التي استخدمها الرجلان كانت في أغلبها إيجابية وتفاوضية، وتبعث على الأمل وتحض على العمل المشترك، وتدعو إلى تصعيد النضال بكل أشكاله وأنواعه، وتعد الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده بأنهما سيقدمان له نموذجاً جديداً في الاتفاق والتعاون، وفي التفاهم والتكامل، وسيعملان معاً لتحقيق الأهداف الوطنية كلها، وسيكونان هذه المرة جادين في مساعدهما، وصادقين في تصريحاتهما، ولن يكون لقاؤهما مجاملة أو مناورة، ولا محاولة للانفصام على بعضهما أو الانقباض على أنصارهما في مناطقهما، بل سيكون اللقاء منصفاً للتفاهم الكلي والإجماع الوطني، وهو ما يريده الشعب من هذا اللقاء وما يتطلع إليه، إذ لا يريد كلاماً منمقاً، وخطباً رنانة، وتصريحات نارية، ودغدغة عواطف وإثارة مشاعر، ثم ينقلب كل فريق إلى ما كان عليه وإلى المربع الذي كان فيه.

لم يكن الشعب الفلسطيني في حاجة إلى تحدي إسرائيلي جديد، ولا إلى مخططات ضم أراضي الغور والصفحة الغربية، ولا إلى فزاعة جديدة وصرخة مخيفة حتى يلتئم صفة وتجتمع كلمته، أو يتنادى قادته وتتجاوز فصائله، بل هو في حاجة دائمة لأن تلتقي قيادته وتجتمع قواه في كل الظروف والأوقات، لتتسق جهودها وتتبادل أدوارها، وتتحد إرادتها لمواجهة الاحتلال والتصدي إلى مشاريعه، وإفشال مخططاته وإحباط آماله، والعمل على تحقيق أهداف الشعب في استعادة الأرض وعودة الأهل، وتحرير الأسرى وإطلاق سراحهم من هوان السجون وذل الاعتقال، والعمل الجاد لإنهاء الانقسام وتحقيق الوحدة الوطنية الكبرى.

لا أنكر أنني واقعي تماماً، أدرك حجم الخلافات بين حركتي فتح حماس وعمقهما، وأعلم يقيناً درجة التباين بينهما، ومدى تمترس كل فريق وجموده على مواقفه، ولكنني سأحتمل هذا اللقاء وما بعده كل الأمانى وجميع الطموحات، وسأطالبهما باستكمال ما بدءا، وإتمام ما أعلن عنه طرفاه، وهذا الأمر ليس خياراً أو رأياً، بل هو قرارٌ وأمانةٌ وواجب، أطلقه باسم الشعب، وأعبر عنه نيابةً عن الأمة، ليقيني التام أن الحركتين قادرتان على صناعة شيء ما يعيد الأمل إلى شعبنا، ويستعيد ثقته بهما، ويسترجع احترام الشعوب العربية والإسلامية إلى قضيتهما، وإلا فإن أهدأ بعد اليوم لن يصغي لهما، ولن يثق بهما، ولن يأمل فيهما، وحرماً عليهما أن يضيعا آمال هذا الشعب، وأن يكسرا بخاطره، ويتركاه نهياً للعدو يفتريهم ويصادر أرضهم، ويغتصب حقوقهم ويطردهم من ديارهم.